العبادة عند ابن تيمية رح

السيد نور محمد الهزاروی
استاذ الحدیث و الفنون، دارالعلوم تعلیم القرآن
راولپندی

ان موضوع العبادة هام جدا، و فی هذا المقال نتناول هذا الموضوع کما بینه الامام ابن تیمیة رحمه الله، وجل اعتمادنا فی اعداد هذا المقال علی رسالته حول العبودیة .

مرتبة العبادة و فضیلتها :

یمکننا ان نعرف مرتبة العبادة و فضیلتها بانه لیس من الانبیاء المصطفین الا وقد سماهم الله عبادا .

''واذکر عبادنا ابراهیم واسحق و یعقوب اولی الایدی والابصار. انا اخلصناهم بخالصة ذکری الدار وانهم عندنا لمن المصطفین الاخیار،،(۱)

کما وصف الله تعالی بالعبادة جمیع الانبیاء والملائکة .

''و من عنده لا یستکبرون عن عبادته ولا یستحسرون . یسبحون اللیل والنهار لا یفترون(۲)

ثم وصف بها امام الانبیاء فی اکمل احواله من الاسراء والایحاء والدعوة والتحدی(۳)

وافتتح کل رسول من الرسل دعوته بالدعاء الی عبادة الله کقول نوح علیه السلام و من بعده من الرسل علیهم الصلاة والسلام :

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

''اعبدوالله مالكم من اله غيره(٤)

وان الله تعالى خلق الجن والانس لعبادته، قال الله تعالى: وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون .(٥)

وان العبادة هى اصل التوحيد، و حق الله على العباد، كما هى غرض بعث الرسل و انزال الكتب عليهم، قال الله تعالى :

''ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدو الله واجتنبوا الطاغوت(٦)

و قال الله تعالى:

وما ارسلنا من قبلك من رسول الانوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون(٧)

كما كانت العبادة هى غاية البعثة المحمدية ،قال عليه الصلاة والسلام . بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، رواه البخارى تعليقا(٨)

و نعت بها عباده الصالحين فى حال الانعام والاكرام فقال تعالى :

''عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا،،(٩)

كما انذر المستكبرين عن عبادته بانهم يدخلون جهنم داخرين .

فهذه الآيات وامثالها كثيرة تدل على ان العبادة هى السعادة الكاملة، وان لها من الفضيلة ما ليس لغيرها، و كل من عبد الله صار من المقبولين، ومن استكبر عنها صار من المردودين فبذلك بان فضل العبادة و تبين لنا انه ليس هناك مقام من مقامات الجن والانس اعلى واعز عند الله من العبادة وانه ليس بعد العبادة غاية .

غاية العبادة : ان غاية العبادة ان يتحرر العابد عن ما سوى الله تعالى، و يحظى بالفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة وبها يعلم الانسان علو منزلته و مدى قدرته. ويابى ان يرى بينه وبين الله احدا فمن لم يعرف حقيقتها فكانما خرمن السماء

ووقع فى قعر الجهالة مدة عمره .

ماهى العبادة :

ان العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى و يرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة(١٠) فكل قول مرضى عند الله تعالى و عمل محبوب له عبادة، و العبادة فى هذا المعنى شامل لجميع مناهج الدين والحياة، حتى الاعمال التى تعدها العامة من اعمال الدنيا هى ايضا عبادةاذا اداها الانسان حسب مشيئة الله تعالى ، و لذلك فان اطلاق كلمة العبادة على الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط ليس صحيحا ،و كذلك تقسيم الفقهاء الأمور الدينية الى العبادات والمعاملات. لان الدين اسلام وايمان واحسان كما قال عليه الصلاة والسلام فى آخر حديث جبريل : هذا جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم ، فجعل هذا كله من الدين . والدين والعبادة واحد لان الدين يتضمن الخضوع والذل يقال : دنته فدان اى اذللته فذل، و يقال ندين الله و ندين لله اى نعبده و نطيعه، و كذا العبادة اصل معناها الذل، يقال طريق معبد اذا كان مذللا قد وطئته الاقدام، فالدين عبادة الله واطاعته .(١١) و دين الله تعالى هو الاسلام، قال الله تعالى : ''ورضيت لكم الاسلام دينا،، و يخبرنا القرآن ان الاسلام دين الانبياء جميعا، فدينهم واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له(١٢) فالدنيا دين ان كانت على حسب امر الله وحكمه . فنحن مامورون بالعبادة التى يرضاها الله تعالى وهى تتضمن معنى الذل و معنى الحب، بل العبادة اقصى مراتب الحب . قال الله تعالى : والذين آمنوا اشد حبا لله، فصار حاصل معناها غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له .(١٣) فمن خضع مع البغض أو احب ولم يخضع لم يكن عابدا، كما يحب ولده وصديقه فلابد فى عبادة الله تعالى من الذل والحب معا (١٤) .

وللعبادة اصلان احدهما ان لا يعبد الا الله، والثانى ان لا يعبده الا بما امر و شرع(١٥) فما كان من البدع التى ليست فى الكتاب ولا فى صحيح السنة

فانها وان قالها من قالها وعمل بها من عمل، ليست مشروعة ولا محبوبة، فلا تكون من المقبولات ولا من العمل الصالح(١٦) لان العمل الصالح والاحسن لابد له من امرين، احد هما ان يكون صوابا، والثانى ان يكون خالصا، والخالص ان يكون لله تعالى، والصواب ان يكون على السنة(١٧) . و قال مالك رح ''السنة مثل سفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق،،(١٨). و هذا معنى كلمة التوحيد، فمعنى لا اله الا الله، ان يكون خالصا لله تعالى، وانما يكون الاخلاص فى عبادة الله تعالى بالنفى الكامل عن ما سوى الله واثبات عبادته وحده و معنى محمد رسول الله ان يكون على السنة(١٩) وتلك العبادة مدار الثواب فلا دين لا ما شرعه الله تعالى والله تعالى ذم المشركين على انهم ابتدعوا فى الدين مالم ياذن به الله، وانهم حرموا مالم يحرمه الله، قال الله تعالى :

ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم ياذن به الله .(٢١)؛

العبادة لا تليق الا بمن يتصف بوصفين . احدهما علم الغيب والثانى التصرف فى الامور كلها فالمعبود من يعلم ما فى السموات وما فى الارض بل يعلم السر و اخفى ، و يتصرف فى الامور كلها وله الاقتدار الاعلى، قال الله تعالى: وربك يخلق ما يشاء و يختار، ما كان لهم الخيرة سبحن الله و تعالى عما يشركون. وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون .(٢٠)

فكل تعظيم توقير يكون على اعتقاد ان المعظم يعلم الغيب و يتصرف فى الامور فوق الاسباب لا يجوز لغير الله تعالى لانه عبادة .

وان كان التعظيم والتوقير خاليا من هذا الاعتقاد فليست بعبادة و يجوز لغير الله تعالى ايضا قال ابن القيم رح : العبادة عبارة عن الاعتقاد والشعور بان

للمعبود سلطة غيبية يقدربها على النفع والضرر، فكل ثناء و دعاء و تعظيم و نداء يصاحبه هذا الاعتقاد والشعور فهى عبادة(٢٢).

واليه اشار ابن تيمية بقوله فجعل العبادة والخشية والتقوى لله وجعل الطاعة المحبة لله ورسوله قال الله تعالى :

''و من يطع الله و رسوله و يخشى الله و يتقه فاولئك هم الفائزون(٢٣).

وكذا التوقير لرسوله قال الله تعالى : وتوقروه.(٢٤)

المراجع

(١) العبودية ص ٣٩ سورة ص الآيتان ٤٥ - ٤٧
(٢) العبودية ص ٣ والآيتان من سورة الانبياء ١٩ - ٢٠
(٣) العبودية ص ٥
(٤) العبودية ص ٣٨ والآية من سورة المؤمنين : ٣٣
(٥) سورة الذاريات الآية : ٥٦
(٦) العبودية ص ٣ والآية من سورة النحل : ٣٦
(٧) الانبياء الآية : ٢٥
(٨) العبودية ص ٣٨
(٩) سورة الدهر الآية : ٦
(١٠) العبودية ص ٢
(١١) العبودية ص ٥ - ٦
(١٢) العبودية ص ٦٢ - ١٠٦
(١٣) العبودية ص ٦
(١٤) العبودية ص ٧ - ٣٨
(١٥) العبودية ص ٣٠
(١٦) العبودية ص ٣١
(١٧) العبودية ص ٣٢
(١٨) العبودية ص ٣٠
(١٩) العبودية ص ٩٢
(٢٠) الرسالة التاسعة فى السماع والرقص من مجموعة الرسائل المنيرية ص ١٧٧
(٢١) سورة القصص الآيات : ٦٨ - ٦٩ - ٧٠
(٢٢) مدارج السالكين ص ٤٠
(٢٣) العبودية ص ١٠٥ والآية من سورة النور : ٥٢
(٢٤) سورة الفتح الآية : ٩